

فكاهات

روايات

تحت ظل الراية (١)

كان لاحد اشراف الانكايذ ولدٌ وحيد رزقه الله اياه واعطاهُ معه غنىً وافراً وثروةً واسعة فكان ينظر الاب الى ابنه نظرة انسان الى سبب سعادته وعنوان افتخاره . ولما ترعرع الفتى وكان اسمه سسل ارسله والده الى المدرسة ليتلقى فيها العلوم فنبغ بين اقرانه وكان ميالاً الى قراءة الروايات فكان يطالعها كلما سمح له الوقت مطالعة المتقدم البصير ويشبع افكاره من وقائعها وتواريحها ولغتها . وكان يرى في اكثر الروايات التي طالعها من الاخبار عن اعمال ربات الخدور وما يلبسهن الراوون من ضروب الخيانة والغدر ما جعله ينفر من ذكر الزواج ويتحذر من الوقوع في اشراك النساء . غير انه ما عتم ان تلتف معه هذا النفور لانه رأى ان لا بد للانسان من شريكة تشاطره الحياة ولكنه يجب عليه ان ينعم النظر في انتقائها ويجهد في تربيتها على ما يريد من حسن السيرة وطهارة السريرة . ولما انتهت ايام سسل المدرسية عاد الى بيت ابيه مكللاً بنجاح فتلقاه والده بمتهى الحفاوة والسرور وأدب مآدبةً حافلة دعا اليها كثيرين من

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اصدقائه اكراماً لرُجوع ولدهِ فائراً وكان سسل يسير بين الضيوف بوجهِ
باش ولسانٍ طلق فيكرم الشيوخ ويلطف السيدات ويحدث الثتيات وهو
يرشقهنَّ من تحت كلماتهِ بسهامِ النظر ليري ما انطوينَ عليهِ وفي صدرهِ
آمال . فأخذ الجميع بمحذقهِ وجمالهِ وعذوبةِ حديثهِ ولم يبقَ بين الحضور
من لم يعمل بكليتهِ الى سسل ويفتن بحسن آدابهِ .

وعلم والد سسل ان ابنهُ ميال الى اختيار زوجةٍ وكان هذا ما يتمناهُ
فجعل يكثر من المآدب والاجتماعات في بيتهِ الى ان وقع اختيار سسل على
فتاةٍ تدعى جوليا دي متناغ من اسرةٍ عريقةٍ في النسب والنعى وكانت
هذه الفتاة في التاسعة عشرة من عمرها جميلة المنظر حسنة الاخلاق كاملة
الصفات . فلما اظهر سسل ميلهُ اليها كان ذلك من اكبر دواعي السرور
عند والدهِ ولم يكن ما يعوق سسل عن اتمام رغائبهِ فلم يمضِ الوقت
الكثير حتى اقترن بجوليا وعقب اقترانهُ بها شهران او اكثر من الاعياد
المتواصلة واقامة حفلات السرور والابتهاج

وبعد ان مضى على ذلك مدةً اخرى دعا سسل والدهُ وقال لهُ
يا ولدي قد ازف الوقت الذي فيه يجب عليك ان تريح والدك الشيخ
وتكفيهُ عناء الاهتمام باشغالهِ واملاكهِ فاريد ان تصحبنى من الغد الى محل
الشفل لتطلع على كليتهِ وجزئياتهِ حتى متى شاء الله ان ينقلني من هذه
الحياة تكون على تمام الأهبة للقيام بما يترك على عاتقك من الاعمال . ورأى
سسل كلام والدهِ صواباً فاجابهُ الى ما اراد وفي اليوم التالي تبع والدهُ الى
محل شغلهِ ففضى معه ساعتين ثم رجع الى بيتهِ عند الظهر وكانت جوليا

تنتظره في الحديقة فضعها الى صدره ثم دخل بها المنزل ودامت الحال على ذلك نحو سنتين من الزمان . وفي ذات يوم عاد سسل من محل شغلها وبلغ باب الحديقة فلم ير زوجته كالمادة فقلق ودخل حيران ولما بلغ القصر توجه توتاً الى غرقها ولما بلغ الباب رأى زوجته جالسة على مقعد في غرقها والى جانبها فتى قد طوق خصرها بذراعه والقت رأسها على صدره وهو يقبلها قبلات الوله والهيام . ولو نزلت صاعقة على رأس سسل لما اثرت فيه كذلك المنظر فعاد الى غرفته من غير ان يشعر به وقد اسودت الدنيا في عينيه واعترتة نوبة عصبية فاصبح كالمجنون وجعل يلطم رأسه بجدران الغرفة وينتف شعره الى ان سقط على الارض متلاشي القوى . ولما افاق جلس هنيهة يفكر فيما عساه ان يفعل ورأى ان شرفه قد اهين وان لا سبيل الى محو ما لحقه من العار الا بالانتحار وللحال ظهر على وجهه تبسم ابليسي فاسرع الى غدارته وبعد ان صوبها الى رأسه رمى بها الى الارض وقال كلاً ما انا بيجان ولا ينتحر الا الجبان والدنيا واسعة فالوداع يا وطني الوداع يا انكثرا قد مات عنك سسل ودُرس آثاره اما انا فسأحيا ما بقي لي من الحياة تحت غير هذه السماء لارى ما خبأه لي الدهر بعد هذا من المصائب المرة . ولما قال ذلك قرع جرس غرفته فأتى الخادم فقال له اني ذاهب في بعض اشغال عظيمة الاهمية جداً وربما لا ارجع هذا المساء واذ كان لا يمكنني التأخر دقيقة واحدة لم اتمكن من مقابلة مولاتك فأبلغها ذلك بمد ذهابي حين تأتي الى غرفة الطعام . ثم انه دس في جيبه بعض النقود والقراطيس المالية وخرج . ورأى الخادم في وجه مولاه ما لم يره

قبلاً فدهش وجعل يفكر فيما عساه ان يكون هذا الامر الشديد الاهمية
وانتهت جوليا بعد حين انه قد مضى موعد رجوع زوجها فخرجت
الى الحديقة وانتظرت حيناً فلم ترَ احداً ثم عادت الى القصر وسألت الخدم
هل رجع سسل فاخبرها الخادم بما اوصاه مولاه فاعتمت جداً وقالت وهل
من الممكن ان اشغاله معها كانت مهمة تمنعه من التكرم علي بنظرة واحدة
قبل خروجه فلا بد ان يكون في الامر سرٌ لم ادركه ثم تساقطت عبراتها
فعادت الى غرفتها وجلست تبكي ولم تذق القوت الى المساء . وكانت كلما هب
النسيم فحرك الاغصان تب الى باب الغرفة خائفة ان سسل قد عاد وحين
لا تجده تعود الى البكاء وقضت ليلتها على مثل تلك الحالة الى مساء اليوم
الثاني . ولما لم يرجع سسل تحققت ان في الامر داهية ومصيبة عظيمة
فذهبت الى حميها واخبرته بالواقع فتحير الآخر وقضيا اياماً في البحث عن
سسل فلم يوقف له على اثر . ولما اعيتهما الحيلة سلما الامر الى الله ولبشا
ينتظران من يوم الى آخر سماع شيء عنه

اما سسل فخرج من قصره وهو لا يدري اين يذهب ورأى امامه
قطاراً فركبهُ واوصلهُ الى الميناء وصادف هناك سفينة مسافرة الى كاله
فركبها وما لبثت الا قليلاً حتى اخذت تمخر عباب البحر فوقف سسل على
ظهرها وهي تبتمد به عن شواطئ انكلترا واخذ ينظر الى مسقط رأسه
وفي صدره غليان المرسل . ولما بلغ كاله خرج الى البر وركب القطار فنقله
الى باريس ومنها الى مرسيلا . وقطع سسل كل هذه المسافات وهو غير عالم
بوجهته ولا يدري ماذا يفعل ولم يذق قوتاً ولا اخذه كرى . فلما بلغ

مرسيليا نزل من القطار ورأى امامه مطعماً فدخل وطالب بعض القوت فاكل ثم ادركه النعاس فالتقى رأسه على المائدة ونام نوماً ثقيلاً . وكان الزائرون يدخلون ويخرجون وهو لا يشعر بهم ورأى صاحب المطعم ذلك فعلم ان الرجل مجهود من التعب فلم يقلق راحته وبقي سسل نائماً الى نصف الليل واذ ذاك افاق بفتة على صوت زمرة بالقرب منه يشربون ويطربون فاعار اذناً صاغية فعلم انهم من الجنود الذين صدرت لهم الاوامر بالسفر الى بلاد الجزائر حيث دارت رحى الحرب . وكان قوة جديدة شعر بها في صدره فالتصب واقرب اليهم فهاهم باللغة الفرنسية فاجابوه وجلس اليهم يسألهم عن الحرب وعلم انهم سيسافرون في الغد الى الجزائر فاطهر ميله الى التطوع معهم ثم امر لهم بشراب وراوا من كرمه ما حببه اليهم فوعده ان يسهلوا له الامر لدى قائدهم . ولما كان الند توجه سسل الى قائد الفرقة وعرض عليه التطوع تحت رايته فتعجب ذلك من انكليزي يود الانتظام في سلك الجنود الفرنسية ولكن الحاح سسل ورفقائه اقنع القائد فقبل طلبه وعينه من جلتهم . وفي منتصف النهار اقلعت الباخرة من مرسيليا باولئك الجنود وكلهم يتشوق الى الوصول الى ساحة الوغى واكثرهم شوقاً سسل . وكان يجتهد في نسيان ماضي حياته ما امكن ولكن لم تبرح من وجهه امائر النغم والاكتئاب . وكان لا يحب ان يطلع احداً على اسمه فكانوا يلقبونه بالانكليزي ويقولون لا لذة لنا الا بوجود الانكليزي فهو آية السرور ولكنه يجتهد في اخفاء سر عميق نظنه الباعث على طرده من وطنه ومحيته الى هنا

ولما بلغت هذه الفرقة بلاد الجزائر انضمت الى الجيش الاكبر واخبر القائد العام ان بصحبتهم فتى انكليزيا قد تطوع في الجيش فاستدعاه القائد وكله فرأى فيه نخوة وعظمة ونفساً ابية فاضر له الاهانة والاحتقار اما سسل فاحسن القيام بما عهد اليه وحافظ على واجبات الجندية فلم يدع عليه لاحد سيلاً وزاد في حسن صفاته سكوته المستمر فكان رؤساً وهُ ورفصاً وهُ يحبونه جداً ما عدا القائد كما ذكرنا . اما في الوقائع فظاهر سسل شجاعة نادرة وكان يرمي بنفسه في اشد مواقع القتال خطراً وهو يمتنى التخلص من هذه الحياة وبقيت الحالة على ذلك مدة ثماني سنوات . وكان في جيش الفرنسيين فتاة يقال لها سيجرت ادعت انه اوحى اليها مساعدة الجيش فرافقتة الى الجزائر وكانت لا تكلم من الخدمة فتارة تراها في المستشفى تعالج الجرحى وتسير بين المرضى كملك طاهر وطوراً تراها ممتطية صهوة الجواد تحرض الفرسان على الهجوم وهي في مقدمتهم لا يخيفها العدو ولا ترهب الموت . وكانت سيجرت قد احبت سسل لما رأت فيه من كرم الاخلاق والاقدام في ساحة الوغى غير انها كانت تنفر منه لانه انكليزي فلم تكن تكلمه البتة . وفي ذات ليلة كان سسل يسير بجواده للحراسة خارج المعسكر وكان متشتت الافكار فاشعر الا وقد ابتعد عن الخيام واوغل في القفر وما انتبه لنفسه وهم بالرجوع حتى سمع صوت جلبة وصياح فهز جواده وفي اقل من لحظة بلغ المسكان فرأى سيجرت والى جانبها فارس ليس من الجنود وقد اطبق عليهما ستة من فرسان العدو فحمل سسل عليهم حملة الاسد فزق شملهم وقتل اثنين منهم ثم اتبعها

بثالث فهرب الباقون

ولما انتهت المعركة تقدمت سيجرت تشكر سسل على انقاذها ثم تقدم رفيقها ايضاً فلما تقرس فيه سسل اذا هو نفس التي الذي كان عند زوجته في ذلك اليوم المشؤوم وكان قوة كهربائية حركته فهمز جواده وسار كالبرق الخاطف راجعاً الى المعسكر تاركاً سيجرت ورفيقها في حيرة من هذا الفعل . ولما بلغ محل حراسته ترجل عن جواده وجلس على صخرة وكله افكار وتخييلات وبعد ذلك قدمت سيجرت وحدها وكان حباها لسسل يتزايد ولا سيما بعد هذه الحادثة الاخيرة فلما رآته ترجلت وتقدمت اليه قائلة اني اكرر شكري لهمتك ايها الانكليزي لانقاذك اياي من الموت وعسى ان اتمكن يوماً من وفاء هذا الجميل . قال سسل وكأنه لم يسمع شيئاً من حديثها بالله ايتها النناة من هو الرجل الذي كان برفقتك الآن . قالت هو رجل انكليزي نظيرك ومن الأسر الغنية جداً قدم مع شقيقة له للسياحة ورآني في هذا المساء خارجة كعمادتي لمشاركة العدو فكلمني وجعل يسألني عن الجنود وسألني هل تطوع احد من الانكليز في هذه الحرب فاخبرته انه لم يأتنا من هذه الامة الا واحد . ثم افضنا في الحديث فلم نشعر الا وقد ابتعدنا عن طريقنا واصبحنا بين اولئك الاعداء فالشكر لهمتك على انقاذنا منهم . وكان سسل يعجب من قدوم رجل انكليزي وشقيقته بقصد السياحة في تلك النواحي وفي مثل تلك الايام ثم من سؤالها عن عساة ان يكون قد تطوع من الانكليز واراد ان يعيد هذه الافكار عنه غير انه رأى فيها غرابة وموضعا للتفكر . واستفهم من سيجرت عن

محل وجود هذا الرجل فاخبرته عن المحل كما علمته من الرجل نفسه .
فلما كان الغد انتهز سسل فرصة راحته من نوبة الحراسة فركب وتوجه
الى المحل حسبما افادته سيجرت فرأى سرادقاً فخيماً وحوله الخدم والحشم
فتقدم الى احدهم وبعد ان سلم عليه ولاطئه سأله عن اولئك السياح فقال
الخدام اننا في حاشية الكنت فيليب دي منتاغ وشقيقته الكنتة جوليا .
فلما سمع سسل اسم منتاغ وجوليا شعر ان الارض تموج به ولكنه ثبت
جنانه وقال للخدام واين هما الآن . قال قد خرجا للزهة ولا يعودان قبل
منتصف الليل . فقال سسل للخدام اني اعرف اناساً بهذا الاسم ولكنني
لست متحققاً هل الكنت وشقيقته هما اللذان اعرفهما فهل لك ان
تساعدني على طريقة اتمكن بها من رؤيتهما بدون ان يراني احد ولك
مني ما تحب . ولما قال هذا اخرج من جيبه بعض النقود ودفعها الى
الخدام فتبسم الخادم وقال ان ذلك من اسهل الامور فان غرفتي بلصق
غرفة الكنتة وانا خادم غرفتها فتعال معي . فربط سسل جواده الى ناحية
ودخل مع الخادم وكان في اثناء انتظاره على احر من الجمر . واذ قارب
انتصاف الليل اخبره الخادم ان مولاته قد جاءت وكان في جدار الغرفة
خرق صغير فوضع سسل عينه ونظر فرأى زوجته بعينها وهي مرتدية
ثياباً سوداء وعلى وجهها اثر الحزن وقد استندت على ذراع النقي الذي
ذكرناه سابقاً . اما سسل فقطع نفسه وشخص ببصره واصغى بكل قوى
نفسه فسمع الشاب يقول والى متى هذا الحزن يا شقيقتي فانه ان كان
زوجك لا يزال حياً فلا بد من ان نصادفه وان كان ميتاً فالحزن لا يرجعه

فسكنني روعك . فقالت جوليا بصوت الحزين الاسيف هذه هي السنة الثامنة وانا انشدهُ في جميع انحاء الارض فلم اقف لهُ على اثر افلا يحق لي ان احزن وانوح . قال الفتى ولكنني اخبرتك بما حدث ليل امس وما ادرانا ان لا يكون هذا الفتى الذي خلصني من الموت هو نفس زوجك . سسل وسأجتهد غداً في البحث عنهُ وفي ظني اننا هذه المرة قد ظفرنا بضالتنا . وعلم سسل ان الفتى الذي كان قد رآه مع امرأته حين هجرها هو اخوها فندم على ما فعل وايقن انه كان مخطئاً في حقها فهم ان يدخل عليهما ويستغفرها عما جنى عليها ثم قال في نفسه ولكن باي وجه اقابلها وبماذا اعتذر اليها عن تهوُّري وتسرعِي في ظني وتركي لها كل هذه المدة في العذاب . لا لا ان سسل قد مات وما انا الآن الا جنديٌّ يحارب تحت الراية الفرنسية في شمالي غربي افريقيا ليس الا . وللحال نهض فركب جوادهُ وعاد من حيث اتى وكان يسير على غير هدى حتى بلغ المعسكر واذا بالقائد العام قادم ومعه اركان حربه فلما رأى سسل عائداً قبيل الفجر اتخذ تلك الفرصة لصب جام انتقامه على رأس المسكين فامرهُ بالوقوف فوقف وحياً . فقال القائد اين كنت ايها الانكليزي في مثل هذه الساعة . قال لم يكن علي واجبات اليوم فذهبت لزيارة بعض الاصدقاء على مقربةٍ من هنا . قال ومن هم اولئك الاصدقاء . قال ليس لك ان تعرفهم . قال بل اعرفهم اذا صفعتك بقفا هذا الغمد . قال ليس لك ان تفعل ذلك ولا اقل منه بدون عقد مجلس حربِي لمحاكمتي اذا كنت مخطئاً . فبلغ الفيظ من القائد وامتشق حسامهُ وهجم على سسل ولكنه قبل ان يرفع يدهُ به وثب سسل اليه .

واظدة لظمة اطارت السيف من يده وواقعته على الارض ثم سار سسل بجواده كانه لم يحدث شيء . وفي ذلك النهار تألف مجلس عسكري برئاسة القائد العام فحكم على سسل بالاعدام ثم ارسل المجلس الحكم مع رسول خاص الى باريز للتوقيع بانفاذه والتي سسل في السجن

وعلمت سيجرت بما حدث فصممت على السعي في خلاص سسل فتوجهت اليه واخبرته بقصدها وسألته ان يعطيها اسم أسرته لتستعين بها على انقاذه فابي وقال انه يفضل الموت على ذلك وان هذا ما يسعي اليه منذ قدمه الى الجزائر . ولما نأست سيجرت منه استأذنت قائدها في التغيب فاذن لها وتوجهت الى حيث يقيم فيليب دي متناغ وشقيقته جوليا لعلها انهما من جنس سسل وربما ساعداها على تخليصه . ولما اطلعتهما على خبره فهمت جوليا من كلامها ووصف اخيها ان الجندي المذكور هو سسل بعينه فقامت قيامتها واجمع الرأي على ان ترسل سيجرت عرضاً في واقعة الحال الى وزير الملكة وتطلب تأجيل الحكم على سسل وان تكتب جوليا واخوها الى سفير انكلترا يسألانه السعي في توقيف انقاذ الحكم ثم بعثوا بكل من الرسالتين رسولا مخصوصاً واقاموا ينتظرون ما يكون . وعاد رسول القائد ويده الامر موقفاً عليه فامر باعدام سسل في الصباح التالي وعاد في نفس الليلة رسول سيجرت ويده امر آخر يلغي الامر الصادر للقائد ويوقف الحكم فالتاوتته سيجرت حتى وثبت الى ظهور جوادها وحملت تنهب الارض نهباً قاصدة المعسكر الفرنسي فبلغته عند الصباح . ولما اقتربت رأت في الساحة جنوداً مصطفة وفي وسطهم اثنا عشر جندياً

ببنادقهم وامامهم سسل موثقاً وهم ينتظرون الامر لاطلاق الرصاص . فلما رأت ذلك اخرجت الامر من ثوبها ورفعتهُ بيدها وجعلت تحت جوادها على المسير وكان قد نهك الكلال ولما بلغت حدود المعسكر وثبت عن ظهره وجعلت تعدو وهي تصيح قفوا قفوا ثم رأت البنادق ترتفع الى صدور الجنود فاشارت لهم بيدها غير ان القائد لم يكثر بها . وكانت قد اخذت من الكتلة جوليا راية انكليزية فرفعتها وبلغت سسل فرمت بنفسها عليه وطوقته بذراعها وهي قابضة باليد الواحدة على الامر وبالاخرى على الراية وفي نفس الدقيقة كان قد أعطي الامر فقذفت البنادق رصاصها وسقط سسل وسيجرت الى الارض . . .

ولم يصب الرصاص منها مقتلاً بل اصبيا بجراح كثيرة ونال سيجرت منها الحظ الاوفر وتقدم القائد فاخذ الامر من سيجرت وهو يحرق الأرم ثم امر بنقلها الى المستشفى . وجاء بعد ذلك فيليب دي متاغ برسائل اخرى فطلب سسل وسُح له به وكرهت سيجرت البقاء في خدمة جيش يحكمه رجل ظالم كالقائد فتركت الخدمة وسارت معهم . ولا يمكن القلم ان يصف مقابلة سسل لزوجته جوليا ومختصر الكلام انه عاد بزوجه الى انكترا وكان والده لا يزال حياً فجددت ايام هنا هم ولما رأت سيجرت ان سسل متزوج احوالت كاس حباها الى فيليب قبله شاكراً واقترن بها وعاش الجميع بعد ذلك بنبطة وسرور يذكرون مرارة الماضي ويتلذذون بحلاوة الحاضر